المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية

بحث في

الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية

د. إسماعيل أحمد عمايرة
أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية
الجامعة الأردنية

١٩٩٢



الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية ٣٠٤ / ٥ / ١٩٩٢

رقم الاجازة المتسلسل ٢٧٥ / ٥ / ١٩٩٢ م

٣٠٥,٦
اسم اسماعيل احمد عمايره
المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية /
اسماعيل احمد عمايره . - عمان : دار حنين ، ١٩٩٢ .
(٨٠) ص . - (سلسلة دراسات لغوية ، ٧) .
١. المستشرقون أ. العنوان
ب. السلسلة
أ . (٣٠٤ / ٥ / ١٩٩٢)

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

يطلب من

دار حنين العبدلي عمارة الددو ـ مقابل مركز جوهرة القدس ـ الدور الثاني

ص . ب ٢١٥٣٤٦ جبل القصور ت ٦٩٥٦١١ فاكس ٦٩٥٦١١

عمان ـ الأردن

مكتبة الفلاح : دولة الإمارات العين / ت ٦٦٢١٨٩ فاكس ٦٥٧٩٠١ ،

ص . ب ١٦٤٣١ .

المحتويـــات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد، فقد سبق أن تحدّثت في دراستين سابقتين[1] عن المستشرقين واللغة العربية وقد رأيت في هذه الدراسة أنْ أُلقي الضَّوء على صفحة أخرى من هذا الموضوع المُتَشَعِّب الغائص في أعماق التاريخ الحضاري للشّرق والغرب على حَدٍّ سواء.

وتتمثل هذه الصفحة في الجانب التاريخي لأسباب سوء التفاهم الذي حصل عبر التقاء الحضارتين:

(١) نُشرت هاتان الدراستان ضمن سلسلة «دراسات لغوية» التي يصدرها المؤلّف، والدراسة الأولى منهما بعنوان: «المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، وهي تحمل الرقم (٢) من السلسلة، والثانية بعنوان: «المستشرقون ومناهجهم اللغوية ـ المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي، رقم (٤)، دار حنين للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الثانية.

الإسلامية والغربية، وأثر ذلك على علاقة المستشرقين باللغة العربية تاريخياً.

كما ترمي هذه الدراسة إلى الإشارة إلى الجذور التاريخيّة للاتجاهات الاستعماريّة والنصرانية والعلمانية من خلال علاقتها بالشرق الإسلامي.

ومن أظهر الأهداف التي تسعى إليها أن تعطي فكرة كافية عن تاريخ الصلة بين المستشرقين والعربيّة منذ أقدم العصور، وأن توضح الجذور التاريخيّة والثقافية لهذه الظاهرة حتى يتسنّى لنا أن نفهم واقعها ومستقبلها.

ومن مرامي هذه الدراسة أيضاً أن تبيّن كيف أن بحث هذه الظاهرة ينبغي أن يتمَّ في سياق الإطار التاريخي لعلاقة الإسلام بأوروبا منذ كان هذه الاتصال إلى يومنا هذا.. كلّ ذلك في سياق التوصل إلى أسباب سوء التفاهم، سعياً وراء صيغة أفضل للكشف عن الحقيقة التي تمثل الهدف المنشود الذي تسعى إليه البشريّة شرقاً وغرباً وفي كل اتجاه.

سُوء التفاهم وتعميق هُوّة الخلاف
بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

لا شَكّ في أن سوء التفاهم هذا نتج عن أسباب يحمل تَبِعَتها الجانبان: الجانب الإسلامي والجانب الغربي، وهي أسباب عديدة تشابكت حتى غَدَت فيها «الأعْراض» الطارئة على الزمن أمراضاً مُسْتعصية نَتَج عنها أعْراض من نوع جديد.. وهكذا تُصبح النتيجة ـ مرة ثانية ـ سَبَباً تتوالد عنه نتائج أخرى. ولا أحسب ـ حتى الآن ـ أن الفرصة قد أُعطيت بالقدر الكافي لأن يعرف الطرفان: المسلمون والأوروبيون، أحَدُهما الآخرَ في مَعْزل عن أسباب سوء التفاهم. وسأضرب فيما يأتي مثلين يوضِحان مسئولية الجانبين في تحمل أسباب سوء التفاهم:

أولًا: مسئولية الجانب الإسلامي في تعميق أسباب الخلاف.

ـ التوسع في الفتوح وقلة التأثير الإعلامي الإسلامي

فمن الجانب الإسلامى ترتّب على الانتشار السّريع للفتوحات الإسلامية في أوروبا بعضُ النتائج التي تَخْتَلف عن النتائج التي حقّقها المسلمون في المجتمعات النصرانية المجاورة لبلاد العرب، ففي تلك المناطق القريبة كان الجمهور النصرانيّ يَرَى بأمّ عينيه عدالةَ الإسلام من خلال المُمَارسة العملية التي يَعيشونها، ثم إن معرفة الطرفين: المسلمين والنصارى المجاورين، أحدهما للغة الآخر كانت على نطاق ضيّق في البداية، ولكنّه نافع إلى حدٍ ما في أن تعرف هذه المجتمعات أشياء كثيرة عن الإسلام، وبخاصة أنّ هذه المعرفة قد زادت يوماً بعد يوم إلى أن أصبح أبناء الشعوب المفتوحة - بعامّة - من أشد الناس تَمَسُّكاً بالإسلام - بل لقد شاركوا في فتح المناطق الأخرىٰ، وإنْ كان لمشاركة كثير منهم محاذيرُ يضيق المقامُ عن ذكرها. وعلى العموم، فقد ظلت البلاد المفتوحة على الإسلام منذ أن عرفت حقيقته وآمنت به، ولكنّه لم يدم طويلاً في معظم أقطار أوروبا التي دخلها كجنوب فرنسا وإيطاليا وسويسرا.

لقد ترتب على سرعة الفتوحات الإسلامية في أوروبا دون نشاط ثقافي كافٍ أنْ شَعَر هؤلاء بالضيق، وفي هذا المعنى يقول «رينو»: «إنّ الشيء الذي كان يُضايق

المسيحيين هو أنّ عدوّهم قد اسْتَقَر في كُلّ مكان في وقت واحد تقريباً»[1].

وقد ترَتّب على الفتوحات السريعة قلة التأثير الإعلامي الإسلامي تقريباً على تلك الأقطار المفتوحة، في الوقت الذي كان فيه الفارُّون من النصارى الموتورين في بلاد الشام ومصر، يقومون بإعلام مضاد للمسلمين فيقدِّمون الإسلام والمسلمين للشعوب الأوروبية في صورة مُشَوَّهة مُنَفِّرة، فيصوّرونه على أنه نوع من الوثنيّة أو نوع من أنواع الانحراف عن النصرانية، أو ضرب من ضروب الغضب الرباني الذي سلطه الله عليهم لانحرافهم عن دينهم. . . ولهذا «فإن المسيحيين كانوا عندما يسمعون صوت المؤذن يدعو إلى الصلاة يتعوذون ويرسمون إشارة الصليب على صدورهم ويقولون إنه صوت الدّجال»[2] أي علامة اقتراب الساعة.

الخلط بين دوافع الفتح الإسلامي ودوافع غير المسلمين:

وقد ترتب على هذا مزيد من العُنف والقتال في تلك البلاد، ثم حدث أن تشابكت الفتوحات الإسلامية في

(١) «رينو» ص ٤٢.

(٢) «رينو» ص ٢٤٤.

أوروبـا مع ذكـرىٰ غزوات وَحْشيَّة كانت تَشُنُّهـا القبـائل الـونـدالية الـوثنية، وهي قبائل لا يزال اسمها يثير الفَزَع ويُذَكِّـر بأقصَىٰ أنـواع الشـراسـة والـوحشية التي عرفتهـا أوروبا. . وما يزال يَحْلوا للمؤرخين الأوروبيين أنْ يقارنوا بَيْن المسلمين والوَنْدال الوثنيين بِزَعم أنَّ العرب والوندال قبائل آسيوية.

ومِمَّن يعـودون بالقبائل الوندالية إلى أصول آسيوية طورانية ومنغولية، ويقارنون بَيْنهم وبَيْن القبائل العربية، وبـالتـالي بَيْنهم وبَيْن المسلمين في فتوحاتهم لأوروبا، المؤرِّخُ الألماني: فرويند[1].

وأمَّـا المستشـرق الفرنسي «رينو»[2] فيشير إلى رأي بعض المؤرِّخين الذين يَرْبطون بَيْن الونداليين والشعوب المَجَـريَّة. وعلى أية حال فإن كلمة «ونْدَال» تَعْني تلك الشعوبَ البدائية الوثنيّة التي كانت تجتاح أوروبا بَحْثاً عن الغنائم والمراعي. كما أنّ المعنىٰ الحرفي لكلمة Vandres تعني «المُتَشَرِّد» وهي في الألمانية Wandalen

وقَدْ تَرَتَّب على هذا الخَلْط بَيْن المسلمين والوثنيين أنْ شَبّه الكُتّاب الأوروبيون المسلمين بالأعاصير الهوجاء

---

(١) انظر، «فرويند» ص ٧.

(٢) انظر، «رينو» ص ٢٨.

الصحراوية المدمرة التي هَبَّت من الجزيرة العربية، على حَدّ تعبير «فروِيند»[1]، أمّا «رينو»[2] فيصرِّح بأن معاصري الفتــوحــات الإِســلامية من الأوروبيين كانــوا يُسَمُّــون المسلمين وَنْدالاً ويُسَمّونهم وثنيين.

وجـاءت كلمـة: مُسْلم، مرادفـة في تاريخ أوروبـا لكلمات كثيرة يَدُلّ معظمُها على الأخطاء التاريخية التي رافقت سوء الفهم الأوروبي للحضـارة الإِسـلامية، وقد أُطلق على المسلمين اسم: عرب، وإسماعيليين، نسبة إلى إسمـاعيل بن إبـراهيم عليهمـا السـلام. كما عُرفوا بالسرازانيين، ويقال إن أصل هذه التسمية مشتق من اسم ساره مع أنّ سارة لم تكن أمّ إسماعيل عليه السلام، وأُطلق عليهم اسم البــدو، والتــرْك، والبــربــر، والأفـارقـة، والوثنيين... وفي مراحل سابقة دُعوا بالرومان والإِغريق ثم بالهراقطة، ومن هذه التسميات الوَنْدال، والمَجر. هذا غير الصفات البذيئة كأبناء الشيطان، والحيوانات، ونسل إبليس.

ولا شك في ارتباط بعض هذه التسميات بنظرة التوراة التي بين أيديهم للشعـوب، وارتباط بعضها الآخر بعدم

---

(١) انظر، «فروِيند» ص ٧.

(٢) انظر، «رينو» ص ٢٨.

الـوعـي التـاريخـي، وقـد أخَذَ «رينـو» يسوقُ القصص على نتائج هذا الخَلط الذي ترتّب عليه مزيدٌ من الإمعان في تشويه صورة الإسلام والمسلمين منذ تلك الأزمان إلى يومنا هذا. قال المستشرق الفرنسي «رينو» بهذا الصدد:

«وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب إلى رئيس أساقفة «نورين» أنّه يُوجد في الأندلس على شاطىء البحر فوق عمود شديد الارتفاع صَنَمٌ من البرونز صنعه محمد بنفسه ويَعْبُده المسلمون، وكذلك ادَّعى «فيلومين» في تاريخه القصصي حول غزو شارلمان لمقاطعة لانجدوك أنَّه كان يُوجـد تِمْثـال لمحمد مَصْنوع من فِضّة مُذَهَّبة في مدينة «أرْبـوثـة» وُضِـع في معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه المدينة. ومن جهة أخرى جاء في مسرحية بعنوان «ألعاب سانيكولا» التي كانت تَلْقى كثيراً من النجاح في العصور الـوسـطى.. أنّ أميراً مسلماً في أفريقيا كان يَعْبد صنماً اسمه تيرفاجانت Tervagant. وأنه كان يُغطِّي خديه بأوراق من الذَّهب حينما يحصل على حاجته... وأخيراً فقد جاء في القصيدة الفرنسية التي تَروي أعمال البطولة التي قام بها «رولان» أنّ سكان «سرقسطة» المسلمين وقع اختيارهم على مغـارة لتكـون معبد آلهتهم، وأنَّهم نَصَبوا في هذه المغارة تِمْثالاً من الذهب في يده صَوْلجان وعلى رأسه تاج... واسم «تيرفـاجنت» الـذي يحرف إلى «تيرماجنت»

يتــردد كثيراً مع اسم «أبــو لين» في الـروايات الخيالية الفـرنسية القـديمـة وفي غيرهـا من كتب الأدب. وهـذه الأسماء يُدَّعىٰ أنَّها آلهة إسلامية»[1]. انتهى كلام «رينو».

فانـظر مدى الجهـل الـذي شكـل عنـاصر الخلفية التاريخية الأوروبيّة عن الإسلام في يوم من الأيام وما تزال آثاره على نحو أو آخر!

ومِمّا ترتب على غياب الصّوت الدَّعويّ الإعلامي من جانب المسلمين في أوروبا، وعلى المعارك الدامية التي سالت جراحُها المُثْخَنة على صفحات التاريخ الإسلامي الأوروبي أنْ خلا الجـوّ لبعض القسـاوسة ورجال الدين النصـرانيّ لتشويه صورة الإسلام في أذهان الأوروبيين. ومما زاد الطين بِلَّةً أنْ جَنّد هؤلاء إلى صفِّهم خيالَ الشعراء ومؤلِّفي القصص الشعبية ليقوموا بدور «التَّعبئة الشعبية» في حَرْب المسلمين، حتى لقـد أصْبـح الشعـر والقصص الخيالي مَرْجعاً يُعاد إليه في فهم الإسلام، وفي هذا يقول «جوزيف رينو»: «نحن نُدرك إلى أيّ مَدَى استطاع مؤلفو قصص الفـروسية التـأثيرَ على نفـوسِ النـاس وتضليلَ العقول بحيث أصبحت رواياتُهم مَصْدراً للخلط والإضراب»[2].

---

(١) «رينو» ص ٢٢١. (٢) «رينو» ص ٢٨.

حَسْبي بهذا مثالاً كافياً على بيان ما تَرتَّب على التوسُّع الإسلامي في الفتوحات دون أن يَصْحب ذلك جهد دعوي إعلامي إسلامي يُراعي الطبيعة الخاصة بكل منطقة يَتَّجه إليها جيش الفتح مما أتاح الفرصة في سد الفراغ الناجم عن ذلك إلى كل ما حيك عن الإسلام والمسلمين من وهم وخطأ.

ثانياً: مسئولية الجانب الأوروبي في تعميق أسباب الخلاف: «النرجسيّة» الأوروبيّة:

أمّا من الجانب الأوروبي فحسبي أنْ أذْكر مثلاً واحداً لذلك أيضاً، فقد دَأبت الشعوبُ الأوروبية على تنمية إحساسها المُفرط بتعاليها و «نَرْجِسيَّتها» وما تَرَتَّب على ذلك من جهل بأمم الأرض، حتى لقد ظلوا إلى عصور متأخرة، بل ربما إلى يومنا هذا، يحسبون أنَّ الأرض مَخْلوقة لهم، وأنَّ من أطرافها البعيدة أو ربما من خارجها تَنْبري لهم بين الحين والآخر أُمَم عارضة غامضة أطلقوا عليها اسم الوثنيين تارة.. وأتْباع المسيح الدجال تارة أخرى.. وكلّما اشتَدّ اليأْس بالشعوب الأوروبية عادت ثانية إلى تفسير ذلك بأنه آية من آيات اقتراب الساعة وأنَّ عدوَّهم المسيحَ الدجال قد ظهر.. وأنَّ ما يَحِل بهم من

ضِيْق هو من فعل جُنْده.

وقد كانوا حِيال عدوّهم بين اثنين: داعٍ إلى القتال، وداعٍ إلى الاستسلام، وعلى الحالين فلا وَقْت لفهم عقيدة هذا العدو، ولا إلى ما بين عدو وعدو من فروق، وعلى هذا فقد كانوا في كثير من الأحيان لا يُفرِّقون بَين المسلمين والإغريق.. ولا بين المسلمين والرومان.

يقـول «رينـو»: «ومـا دام وَصْف «الـوثنيين» يَشْمل المسلمين والرومان معاً فلا عَجَب أنْ يَعْزو أكْثر من كاتب واحدٍ من كُتّاب العصور الوسطىٰ الآثار الرومانية الموجودة في «دوفـيني»، و «ليون»، و «فيان»، و «أورانـــج» إلى المسلمين ـ وأكثر من ذلك: فلا غرابة في أن تختفي أسماء الغزاة الآخرين وتَتَستَّر كلّها وراء اسم المسلمين»[1].

ولعلّ من المضحك المبكي أن الشعب الفرنسي متى غضب على اليهود بسبب الممارسات الربوية شمل غضبه المسلمين أيضاً[2]. وما تزال العقليّة الأوروبيّة تربط بين عدائها للإسلام وعدائها «للساميّة» باعتبارهم الإسلام نتاج العقليّة الساميّة!

---

(١) «رينو» ص ٢٦.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٣٦.

استمرار أسباب سوء التفاهم من جانب الأوروبيين

وقـد ترتب على هذا أن أُلْصِق بالإســلام في نظر الأوروبي كلُّ صفات تلك الشعوب الوثنيّة، وعُزِيَ إليهم سلوكُها ووحشيتُها، وما تزال أوروبا لم تتخلّص نفسياً من آثـار تلك الحِقَب التـاريخية المتـراكمة التي تَرَبَّت فيها النفسية الأوروبية. . وفي هذا يقول «دانييل»: «إن مسائل الخلاف بين الإسلام والمسيحية لم تتغير، والمسيحيون يميلون دائماً إلى إثارة الانتقادات نفسها، وعلى الرغم من أن بعض الكُتَّاب في العصر الحديث يحاولون نسبيًّا أن يَتَحرَّروا من الاتجاهات المسيحية فإنهم على العموم لم يستطيعوا تحقيق ذلك القدر الذي توهموه»[1].

ولا يَتَّسِع المقام لأمثلة كثيرة تؤكد ما قاله «دانييل»: وسـأكتفي بضَـرّب مثَـل واحد يتناول مُسْتَشرقاً أثنى عليه بعض النقاد العرب، فوُصِفَ بالتوازن والدقة والرجوع إلى

---

(١) «دانيل»، ص ١.

الأصول والموازنة بين الروايات المتعارضة.

وأما هذا المستشرق فهو «جوزيف رينو» الذي مَرّ بنا كيف انتقد سلفَه من الكتاب الأوروبيين الذين خلطوا الحقائق بخيال الشعراء والقُصَّاص، فلم يتمالك نفسَه إزاءَ ذلك الخَلْط الفاحش الذي أظهروا فيه الإسلام ديناً وثنياً يقدَّس الأصنام، فقال «رينو» صارخاً: «فيا لَسُخْرية القَدَر والجَهل الأعمى بالإسلام» ثم قال: «ما السبب الذي دفع بآبائنا إلى هذا الوَهْم والخطأ يا ترى؟ ذهب بعض العلماء إلى أنّ النورمانديين وغيرَهم من الشعوب الوثنية كانوا ضِمْن الشعوب التي كان يَشْمَلُها اسم «سارازين» (يعني مسلمين) وبالتالي فإنّ موطن أسماء مثل «تير فاجنت» و «أبو لين» وغيرهما، هي البلادُ الشمالية حيث كانوا يَعْبدون الأوثان، وهكذا خَلَطَ العامَّة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مُخْجلة»[1] انتهى كلام «رينو». وهو حديث صريح في نقد الفكر الأوروبي في العصر الوسطى لكاتب أوروبي من العصر الحديث، ولكنَّنا نجد الكاتبَ نَفْسَه يَعُبُّ من هذه الروايات بإسراف في كثير من المواطن في كتابه، فمن ذلك قول «رينو» الذي يَستدل به على أنّ المسلمين كانت تَتَملَّكهم روح الدمار والخراب والقتل،

---

(١) «رينو» ص ٢٢٣.

قال: «ونَحْن نَمْلِك في هذا الموضوع شهادةَ شاعرٍ كان يَكتب في أوائل القرن التاسع، وهي شهادة نَرى من الضرورة إيرادها برُمَّتها لأهميتها..»[١] وقد رَوىٰ خبرَ الشاعرِ الخيالي هذا ثُمَّ أرْدَفه للتَوِّ بقصّة أُخرى يزعم فيها وَحشيةَ الفتوحات الإسلامية في نظره. وقد انطوت القصة على أخبار يَظْهر المسلمون فيها عَبَدة أوثان، حيث تقول القصة: «كان البرابرة (يعني المسلمين) مُنْهَمكين في طُقوسهم الدينية حينما تَقَدَّم إليهم رئيس الدَّيْر وعَرض عليهم تَرْكَ الوثنية وعبادةِ الأصنام والتحوّلَّ لعبادة خالق الكون، ولكن هذه الدعوة زادت من غَضَبهم إلى حَدّ أن قام الشخص الذي يَتَولَّى القرابين وأخذ حجراً كبيراً ورمى به على رأسه ووقع القسيس على الأرض فاقد الوعي»[٢].

فكيف يقبل «رينو» هذا النوع من الروايات الملفقة ليستشهد بها؟

قدَّم «رينو» لاستشهاده بهذه القصة بقوله: «وإزاء عَدَم وجود شهادات كثيرةٍ يمكننا أنْ نَسْتَدلَّ أيضاً بحادثة أُخرى على طابع الشدَّة والقَسْوة الذي رافق الغزو العربي الذي تَعَرَّض له جزء كبير من فرنسا».

---

(١) «رينو» ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ٥٧.

وعلى أية حال: فأسباب العلاقات التاريخية المُعَقَّدة موضـوع شائك. . . مُشَتَّت الجوانب والأطراف. . غائرٌ كالصَّـدْع في عُمـر العـلاقات الطويلة بين الحضارتين: الإسلامية والأوروبية، وهو يستحق دراسات طويلة تأخذ بعين الاعتبار مصادر الطرفين التاريخية والفكرية.

الجهل باللغة وأثره في تعميق سوء التفاهم بين الحضارتين:

وسوف أُحاول الكشف فيما تَبَقَّىٰ من صفحات هذا البحث عن صِلَة الغرب باللغة بوصفها من أشد العوامل التي يمكن أنْ تقرِّب أو تباعد بين الحضارات، وقد تَرَتَّب على جهل المسلمين والأوروبيين كلٌّ منهما بلغات الطرف الآخـر نتـائـجُ خطيرة على تاريخ العلاقة بين الطرفين، وسـأركِّـز الحديثَ على الجانب الاستشراقي محاولاً في ذلـك أن أبين فداحةَ الخلل الذي ترتّب على قلّة تَمَكُّن أولئك النَّفر المثقف، الذين كانوا يمثّلون الغرب في تعامله مع المسلمين، من اللغة العربية بوَصْفها أهمَّ لغة لفهم الإسلام والمسلمين.

ولا يعني هذا تبـرئة الجانب الإسلامي من مسئوليته عن التقصير في تعلّم لغات القوم، فقد ترتب على هذا التقصير شيء كثير من أسباب سوء الفهم.

مصادر الفهم الأوروبي لثقافة الفاتحين المسلمين في العصور الوسطىٰ

لم يلتفت الأوروبيون في العصور الوسطى إلى أهمية اللغة العربية، ويؤكد «رينو» هذا المفهوم بقوله: «والمسيحيون من جهتهم لم يكونوا ليفكّروا في تلك العصور التي ساد فيها الجهل والبربرية في بلدهم في تعلّم اللغة العربية، والتاريخ لا يحدِّثنا في هذا السياق إلا عن كاهن واحد وهو رئيس «سانت جال» واسمه هارتموت Hartmote الذي كان درس في حوالي سنة ٨٨٠م اللغة العربيةَ إلى جانب العبرية واليونانية»[١]. وأَغْرَبُ من هذا أنّ اللاهوتيين البيزنطيين كانوا أقرب إلى المسلمين موقعاً، والحربُ سِجال بينهم وبين المسلمين، وحاجتهم إلى العربية أشدّ من حاجة الأوروبيين، غير أن «جهلهم بالعربية قد مَنَع عنهم كل اتصال مباشر بالرسالة القرآنية» على حد قول بلاشير[٢]. ولم يتجاوز اهتمام النصارى في

(١) «رينو» ص ٢٤٦.

(٢) «بلاشير»، ص ١٣.

العصور الوسطى الاهتمام بمتطلبات الجَدل الذي استهدف الدفاع عن «أقانيم المسيح» وتلفيق التهم المزعومة ضدَّ الإسلام.

ولم تكن عامة الناس في أوروبا تفهم الذي يَجْري في بلادهم، بل صَعُب عليهم أن يفهموا موقف الفاتحين: «فمتىٰ استسلم بلد من تلقاء نفسه كان المنتصرون يحترمون ممتلكات المنشآت الدينية . . . وأمَّا البلدان التي لا تستسلم إلا بالقوة فهي تتعرض لعنف الاحتلال»[1]، هذا هو الواقع، ولكن الإنسان الأوروبي لم يكن قادراً على تفسيره في ضوء معرفة حقيقية لأفكار الفاتحين.

ومن المعلوم أن تعاليم الإسلام تقتضي أن يُعرض الإسلام على أهل البلدان المفتوحة، فإن قبلوا غدوا جزءاً من المجتمع الإسلامي، وإلا عُرضت عليهم الجزية يدفعونها، وإلا فليس سوى الحرب. فإن دفعوا الجزيّة حفظوا أموالهم وممتلكاتهم.

لا شَكّ في أن هذه المعلومات كانت خافية في كثير من الأحيان على أبناء الشعوب الأوروبية المفتوحة، وقد كانت عَقَبةُ اللغة من الأسباب الكامنة وراء سوء الفهم. وكان بعض القساوسة يقومون بمهمَّة المترجم الذي ينقل

---

(١) «رينو» ص ٤٢.

آراء الفاتحين وذلك بحكم تصدّر القساوسة ورجال الدين النصراني لزعامة شعوبهم سياسياً وثقافياً، وقد جمع هؤلاء - إلى جهلهم باللغة - حَنَقَهم على الإسلام والمسلمين فكان من الطبيعي أنْ ينقلوا إلى أقوامهم آراء المسلمين بتحريف شديد، وكيف لا وهم لا يفهمون كلمة الإسلام إلا على أنها مرادفة للإلحاد ولا يفهمون كلمة مسلمين إلا على أنَّها مرادفة للقتلة. وقد ظل هذا الموقف مرافقاً لعلاقاتهم بالمسلمين. ويعطي «سوذرن» مثالاً على ذلك الراهب الفرانسيسكاني «سيمون سيميونس Simon Semeoins » الذي زار فلسطين سنة ١٣٢٣م، فإن هذا الراهب الإيرلندي قلَّ أن يذكر المسلمين دون أن يَنْعَتهم بنحو «خنازير» و «حيوانات» وأبناء بَعْل وعُبّاده وأبناء سدوم..[١].

ولا شك في أن الروح العرقيّة القائمة على اللون في نظرة كثير من الغربيين اليوم، تُعَدّ استمراراً للروح نفسها التي يألفها المرء في مواقف الأوروبيين القدامىٰ، بل إن النظرة الأوروبيَّة القديمة لأبناء الشعوب الأخرى خارج أوروبا لتجعل المرء قادراً على تفسير الخَلْفيّة التاريخيّة لمفهوم التمييز العُنْصري التي يتعامل بها «الرجل الأبيض» مع غيره.

---

(١) «سوذرن» ص ١١٧.

أوروبا وحل «المشكلة الإسلاميّة» بالقوة

الاتجاه العسكري في أوروبا: لا وقت لتعلم اللغة العربية:

ويبدو أنّ الأوروبيين، وعلى مَدى أزمنة طويلة، رأوا أنّ الحلّ الأمثل للتعامل مع المسلمين هو القضاء عليهم عسكرياً، فإذا كان هذا هو الحل فلا داعي، إذن، لإضاعة الوقت في تَعَلُّم لغة القوم وأفكارهم، ففي هذا مَضْيَعة للوقت، وقد أعرب عن هذا الهدف «رامون لول» Ramon Lull بعد سقوط عَكَّا في أيدي المسلمين عام ١٢٩١م بعد أن تنامىٰ إلى أسماع الأوروبيين نبأ الانتصار الإسلامي. قال «لول» فيما أورده عنه «سوذرن»: «إذا عاد المُبْتدعون (النساطرة) عن بدعتهم، واعتنق التتارُ المسيحيةَ فيمكن القضاء بسهولة على السرازانيين»[1] يعني المسلمين. وقد

---

(١) «سوذرن»، ص ١١٦ وانظر حول «رامون لول» ما كتبه، «فوك» في الدراسات العربية، ص ١٠٠-١٠٦.

علّق «سوذرن» بعد أن أوْرد هذا النّص بقوله: «وعلى هٰذين الأمرين كانت أوروبا قد عقدت الآمال، بَيْدَ أننا نلاحظ أنّ مُتَشدِّد «ميورقة» (رامون لول) يتحدّث عن «القضاء» على المسلمين، لا عن هدايتهم».

ولا شك في أن هذا الاتجاه العسكري يمثل خطوة متقـدمـة في ظهور الحركة الاستعماريّة الأوروبيّة، التي تحولت فيما بعد إلى توجّه هجومي، وقد كانت في العصور الوسطى ذات أهداف دفاعيّة.

ويُعَدّ هذا الاتجاه استمراراً لروح الحروب الصليبيّة التي لم يرافقها من جانب الأوروبيين أيّ رغْبَة جادة في سبيل التعرف على ثقافة الطّرف الآخر. ولعلّ منطلقهم في ذلـك عدم اعتـرافهم بأن غيرهم يمكن أن تكون له قيم ثقافية تسْتحق أنْ يُتَعرَّف عليها، ولو بقصد مقاومتها.

وسنـرىٰ فيمـا يأتي كيف واصل هذا الاتجاه طريقه حين تجسّد في صورته الاستعماريّة والتقىٰ مع الاتجاهات الأخرى في نظراتها إلى حل «المشكلة الإسلاميّة» في نظر الغرب، وقد أصبح كلّ اتجاه من هذه الاتجاهات يعرف دوره ومـوقعـه المنسق من الاتجاهات الأخرى، إذ كلها تسعى نحو أهداف مشتركة.

أوروبا وحل «المشكلة الإسلاميّة» سلمياً

الاتجاه الفكري في أوروبا والدعوة إلى مواجهة المسلمين ثقافياً:

إنّ الرأي الذي ذهب إليه «لول» لم يكن لِيُمثل الرأي الأوروبي في عمومه، فقد ظهرت قبل ذلك وبعده آراء تَحُثّ على ضرورة التعرف عن كَثَب على أفكار المسلمين ولغاتهم، وقد كَثُر أصحاب هذا الرأي في أوروبا وبخاصة عقب الهزائم المتلاحقة التي حَلّت بهم وبخاصة إثر الحروب الصليبية.

وأساس الفلسفة التي يقوم عليها هذا الرأي أن تُبْرِز أوروبا سلاحها الثقافي في وجه الشعوب الإسلامية التي لَا تعدو في نظرهم أن تكون شعوباً بدائية تبحث عن الغنائم والأسلاب، وعلى هذا فقد استخف أصحاب هذا الرأي بالأسلوب العسكري، ونشطوا في الدعوة إلى تنصير المسلمين.

الجذور التاريخيّة للاتجاه التنصيري

وقد دعا إلى هذا الاتجاه وفي فترة مبكرة رئيس دير كلوني Cluny المعروف باسم «بطرس المبجل» Potrus Venerabilis الـذي تبنّى فكـرة ترجمـة القـرآن للمـرة الأولى - فتـرجمـه الإنجليزي روبـرت كتـون Robert Ketton إلى اللاتينية سنة ١١٤٣م. وكانت هذه الخطوة أوّل استثمار للغة العربية. وقد كان ذلك جزءاً من مخطط عام يدعوإلى تنصير المسلمين من خلال تشكيكهم في معتقداتهم - أي بالـوسـائـل الثقـافية بدلاً من قوة السـلاح. . وقد كشف الراهب بطرس عن المخطط التنصيري حيث وجه خطاباً للمسلمين قال فيه: «إنني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح، إنني أُوجِّه إليكم كلمات فقط، بغير عُنف، وبتَعَقُّـل وهدوء من غير كراهية وبحُبّ كبير. . » وقال في تسويغ إقدامه على ترجمة القرآن الكريم، «وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أَقَلَّ من أن

يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السُّذَّج الذين يمكن أن تَضِير هذه الصغائر عقيدتهم»[1].

وقد مر بنا أنّ «رامون لول» كان يُمَثِّل اتجاهاً داعياً إلى التخلّص من المسلمين بالقضاء عليهم، وأمَّا «بُطْرس المبجل» فيمثل الرأي الداعي إلى القضاء على خطر المسلمين بتنصيرهم. وقد أشار «بلاشير»[2] إلى جوهر الروح العدائية بين «لول» و «بطرس» حيث أشار إلى أن مبادرة بطرس إلى الترجمة، انتقلت عن ذهنية الحروب الصليبية . . والدليل على ذلك في الحماسة التبشيرية عند «رامون لول».

فهل يعني ذلك أن عقبات اللغة بدأت تزول؟ يُعَقِّبُ «سوذرن» بعد أنْ أورد الخطاب السابق لبطرس قائلاً: «أمّا آمال بطرس المبجّل في «هداية» المسلمين إلى محاسن المسيحية الكاثوليكية فقد خابت أيضاً، إذ بقيت نداءاته إلى المسلمين حبيسة كلمات اللغة اللاتينية»[3].

---

(١) «سوذرن» ص ٨٠.

(٢) انظر «بلاشير» ص ١٥.

(٣) «سوذرن»، ص ٨٠.

فاللغة إذن: كانت جداراً سميكاً يحول دون أن يَسمع أيّ من الطرفين صوت الآخر، وقد ساد بين المستشرقين إحساس مفاده أنّ العرب لا يهتمون باللغات الأجنبية، وقد عبر عن هذا «جوزيف رينو» بقوله: «من المعروف أن العرب عموماً لا يهتمون باللغات الأجنبية في القديم»(١).

وأوَدّ أنْ ألفِت الانتباه إلى أن هذا ليس سياسة إسلامية. فمن المعلوم أن الرسول ﷺ أقَرَّ زيداً على تَعَلُّمه اللغة العِبْرية ولم يُنْكر الإسلام عموماً على أحد تَعَلُّم لغة أجنبية. فالأمر متروك في تعلم هذه اللغات إلى ما تقتضيه مصلحة الأمة. وقد يكون تعلّم لغة أجنبية واجباً أو فَرْضَ كفاية لا يَسْقُط عن الأمة إلّا أنْ تقوم فئة منها بمستلزمات هذا الفَرْض. وهناك أمر آخر ينبغي أن يُشار إليه، وهو أنّ ثَمَّة فرقاً بين أن يكون هذا هو موقف الإسلام، والممارسات التاريخية التي قد يعتريها النقص والقصور.

لقد شعر المبعوث البابوي Wilhelm Postel بحرج شديد حين أُتيحت له الفرصة ليناظر المسلمين والبوذيين سنة ١٢٥٤م في منغوليا في حضرة الخان المغولي الأكبر. فقد أحس «فلهلم» بحسرة شديدة لأنه سيناظر المسلمين

(١) «رينو» ص ٢٤٦.

والبوذيين وهو لا يُحسِن أيَّ لغة شرقية. وقد كان الموقف خطيراً فريداً، فلعلّها المناظرة الأولى من نوعها بين أصحاب هذه المفاهيم، وسيترتب عليها في نظر «فلهلم» دُخول المغول في النصرانية، وهو حُلُم الأوروبيين الأكبر الذي إذا تحقَّق أصبح المغول ـ وهُمْ أصحاب الكفّة الراجحة على المسلمين عسكرياً ـ قوةً نصرانية جديدة تضاف إلى قوة أوروبا النصرانية في حرب المسلمين وإبادتهم[1]. ولكن الجهل باللغة ظلَّ عقبة كؤوداً في وجه «فلهلم» وغيره.

النوايا التنصيرية وجهل أوروبا بالإسلام:

إن محاولة الاتجاه الداعي إلى عُقم المحاولة العسكرية في مواجهة المسلمين، والاستعاضة عن ذلك بفهمهم ثقافياً لم يكن بطبيعة الحال سوى اتجاه ضارب في أعماق الخلفيات التاريخية[2] لأساليب التنصير التي نراها اليوم، وهذا يعني أن هذه المحاولات تستحكم خَلْف مواقف مقرّرة ثابتة مفادها أنّ المسلمين وباء وشَرٌّ

---

(١) انظر «فوك» (الدراسات العربية) ص ١٢٠ـ١٢٨، و«سوذرن» ص ٩٠ـ٩٤.

(٢) انظر «باريت» ص ٩، و«فوك» (الدراسات العربية) ٨٧ـ٩٣.

ينبغي أن يقاوم[1]. وكان موقف المسلمين يتّسم بالتسامح النسبي[2].

وفي هذا المقام يقارن «لويس» بين الموقف الإسلامي والموقف الأوروبي. قال: «وفي نظرة المسلمين هذه إلى الحضارة المسيحية، والمسيحية نفسها تَسامُح وتَساهل أكْثر بكثير مِمّا في نظرة أوروبا المسيحيّة المعاصرة التي تَنْظر إلى الإسلام على أنّه كلّه باطلٌ وشَرّ»[2].

بَيْدَ أنّ أوروبا لم تعرف شيئاً كثيراً عن حقيقة الإسلام فكانت في هذا ضحيّة رجال الدين من جهة، والشعراء والمؤرخين من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة تقصير المسلمين في الجانب الدعوي الذي يتطلب أول ما يتطلب معرفةً بلغات القوم ودراسة علمية للأساليب المناسبة في التعامل معهم.

وهكذا بدا المسلمون في نظر أوروبا قوماً من الأعداء، أبرز ما فيهم جانب السلاح والقوة الغشوم التي تتهدد حدودهم الشرقيّة. وقد بات لزاماً أن يستعينوا على تشذيبه بمحاولة تنصيره.

---

(١) انظر «دانيل» ص ٦٨.

(٢) «لويس» (الغرب والشرق الأوسط) ص ٣٨.

الاتجاه العسكري والاتجاه الثقافي التنصيري اتجاهان متعارضان في أوروبا

ظل موقف أوروبا يتذبذب بين الدعوة إلى القضاء عسكرياً على المسلمين وعدم إضاعة الوقت في أي أمر يمكن أن يعرقل هذا الهدف والدعوة إلى حربهم حرباً ثقافية، وقد امتد هذا الأمر من بعد الحروب الصليبية إلى بداية ما اصطُلح عليه بعصر النهضة الأوروبية، ويرىٰ «سوذرن» أنّ النصف الثاني للقرن الثاني عشر كان بدايةً لمرحلة التعقل، ومن الداعين لهذا الاتجاه «أوتو فون فرايزنغ Otto Von Freising الذي صَحَّح بعض المعلومات الخاطئة في أذهان الأوروبيين عن الإسلام، فأنكر خطأ المزاعم اللاهوتية التي تدّعي أنّ رئيس أساقفة «سالزبورغ» قتله المسلمون في القاهرة عام ١٠٠١م لأنه أقدم على تدمير الأصنام التي يعبدها المسلمون في زعمهم فقال: «إن المسلمين يعبدون إلهاً واحداً ولا يذمون المسيح. وأما عيبهم (في نظره) فهو أنهم ينكرون

ألوهية المسيح ويؤمنون بأن محمداً رسول من الله».

وقد أشرنا من قبل إلى أنّ «فلهلهم» قد أفاد من اتصاله بالمسلمين ومناظرتهم في عام ١٢٥٤م فعرف أن المسلمين لا يَعْبدون محمداً ﷺ بل يَعْبدون إلهاً واحداً، وأن وجه الشّبه بينهم وبين النصارى قائم من وجوه كثيرة[١].

الجذور التاريخيّة للاتجاه العلماني:

إنّ ما عده بعض المستشرقين «مرحلة تعقل» لا يعدو أن يكون البداية التي تمخضت عن نشوء الاتجاه العلماني الأوروبي في موقفه من الإسلام. وهو اتجاه جمع إلى النقمة على الإسلام نقمته على الكنيسة، لأنها في نظرهم تمارس دور المنقذ من الإسلام ولكنها لا تقل في نظرهم خطورة على أوروبا من الإسلام. فالإسلام عندهم يساوي الكنيسة من حيث «الكبرياء والشراهة وحبّ السلطان..»

وفي هذا ما يفسر مقولة «جون ويكليف» Wycliff (القرن الرابع عشر الميلادي) في نقد الذات الأوروبيّة «إننا محمديون غربيّون»[٢]. وأحسب أن هذا الاتجاه

(١) انظر «فوك» (الدراسات العربية) ص ١٢٠-١٢٨.

(٢) «سوذرن» ص ١٢٥.

العلمـاني ظل ينمـو ويزدهـر ولكنـه لم يستطع أن يُكَوِّن الصورة الصحيحة عن الإسلام، بل لعله زاد في تشويهها في كثير من الأحيان.

وأحسب أن الاتجـاه العلماني كان أشد ضلالاً من الاتجـاهات الأخرى في فهمه للحضارة الإسلاميّة، لأنه بدا في نظر الأوروبيين بثـوب المـوضـوعيّة، والبعد عن التحيّز فوثق الناس بأحكامه، مع أنها تنطلق أصلاً من روح الدعوة إلى تحييد الدين.

إنَّ تجربة «العلمانيين المرّة مع الكنيسة الكاثوليكيّة في أوروبا، جعلتهم يحملون الدين، أيّاً كان هذا الدين مسئـوليّة المـمـارسـات الفـاسدة، والفقر، والمجاعات، والحروب الأهليّة والضعف أمام الأعداء في الخارج. ولذا كان تعـاملهم مع الإسلام من هذا المنطلق. وعلى هذا فهم يدرسـون الإسـلام من خلال خلفيتهم الثقـافيّة عن تاريخ الكنيسة، ويرون في الإسلام صورة المقلّد الذي يسير في أثر الكنيسة. وقد حال هذا المفهوم السابق عن الإسلام دون أن يتعمقوا فهمه بموضوعيّة وحياد وأخطر من ذلك أنهم قدّموا تصورهم للناس على أنه التصّور الذي يمثل «الموضوعيّة».

الاهتمام الأوروبي بالعربية بعد مؤتمر «فينا» ١٣١٢م

ـ الإرهاصات المبكرة لظهور الاستشراق رسمياً ـ

ولما جاء القرنُ الثالث عشر أدرك «روجر باكون» Roger Bacon ضرورة الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلامية وضرورة تعلم اللغة العربية بل التسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاججة للردّ عليهم، وقد ظل هذا الاتجاه يَتنامى إلى أن عُقِد مجمع «فينا» عام ١٣١٢م الذي أوصى أن تُدَرّس العربيةُ في كُبرى المراكز العلمية الأوروبية: باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامنكا. وتُعَدّ هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبية رسمياً للاهتمام بالعربية. وفضلاً عن ذلك يمكن أن يُعَدَّ هذا المَجْمع نقطةَ تحوّلٍ أو انتصاراً للاتجاه الأوروبي الداعي إلى مقاومة المسلمين ثقافياً، وذلك عن طريق دعوة الناس إلى النصرانيّة بالعربيّة مباشرة، ويقوم بذلك خريجو المدارس المذكورة.

ولكن هذه المحاولات بدأت متعثرة، إذْ بَيْن الحين والآخر كان بعضهم يقرع طبول الحرب والدعوة إلى إبادة المسلمين، ومن هؤلاء لول Lull ويعقوب الفيروني Jakop Von Verona والفلورنسي ريكولدو دا مونتي كروتشي Recoldo de montecroce، وفي أواخر القرن الخامس عشر زاد الجهل بالمسلمين ولغاتهم وفكرهم حتى أن يوحنّا السيغوفي Johannes Von Segovia بحَث هو بنفسه في أوروبا طُولاً وعَرْضاً لكنّه لم يَعْثر على أحد يعرف لغة القرآن ليراجع ترجمته له، وهكذا بَقِيَت دون مراجعة أخيرة»[1].

وعلى أيّ حال فإن تفكير السيغوفي في ترجمة القرآن كان جزءاً من مُخَطَّط يُراد من خلاله أن تَتَجاوز المواجهة الثقافية ضِدّ المسلمين صورتها التقليدية القائمة على الانفعال الخيالي، والاستعاضة عن ذلك بالاتصال بالأصول الإسلامية.

لا شك في أن أكبر مسألة كانت تقلق الأوروبيين في العصور الوسطى هي مسألة إيجاد حل لـ «المشكلة الإسلامية» التي تقبع على الحدود الشرقيّة لبلادهم وقد عجّلت هذه «المشكلة» في إذكاء التسارع الانفعالي

---

(١) «سوذرن»، ص ١٣٤، وانظر «دانيل» ص ٢٧٨.

لاتجاهات عديدة: الاتجاه العسكري برؤيته القديمة القائمة على تصور أن الحل يكمن في الانقضاض على «الأعداء» في عقر دارهم والتخلص منهم بقوة السلاح. والاتجاه الداعي إلى نشر الفكر النصراني بين المسلمين مع تشكيك هؤلاء في دينهم، وقد ازدهرت دعوة هؤلاء على يد الإصلاحيين الذين عدّوا أن الفساد الداخلي في أوروبا وفي داخل الكنيسة الكاثوليكيّة أمر ينبغي أن يلفت الانتباه إليه أولاً. والاتجاه العلماني الذي يرى أن حلّ «المشكلة الإسلاميّة» ليس أولى من حلّ مشكلة فساد الكنيسة الكاثوليكيّة التي جعلت هؤلاء يتطرفون غالباً في نظرتهم المعادية للدين. وقد ظلت هذه الاتجاهات تتسارع في نموها حتى العصر الحديث.

وقد كان من ثمار الاتجاه العلماني المتطرفة أن نشأ الاتجاه الإلحادي الذي أعلن تمرّده على الدين، ومحاربته، ومحاولة إيجاد التفسيرات الكونية والاقتصاديّة والاجتماعية التي يمكن أن تحل محل التصوات القائمة على الدين. وقد كان هذا الاتجاه بداية لظهور الفلسفات الاشتراكيّة، وما أسفرت عنه من ظهور الاستشراق الاشتراكي الذي أخذ يدرس الإسلام والتاريخ الإسلامي في ضوء عقائده الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

دواعي الاهتمام بالعربية
في عصر النهضة الأوروبية

ولكن حاجة الأوروبيين إلى الخروج من دائرة وسائلهم الثقافية التي لم تَخْرج بهم كثيراً من قبل عن اللغة اللاتينية وبعض لهجاتها قد ازدادت، بل أمْلتها عليهم ثقافتهم النصرانية ذاتُها، فقد تصدّعت الوحدة الأوروبية التي كانت الكنيسة الكاثوليكية رَمْزاً لها... وكان من أسباب تصدعها في القرن السادس عشر اختلافهم في صحة النصوص التي تتشبث بها الكنيسة الكاثوليكية... وكان البروتستانت بزعامة «مارتن لوثر» الألماني، في منتصف القرن السادس عشر، من أهم الثائرين على الكنيسة، وقد رأى هؤلاء أنَّه لا بُدَّ لهم من العناية بما عُرف فيما بعد باللغات السامية التي وردت فيها النصوص النصرانية المقدسة كالعبرية والسريانية والحبشية.. ولَمَّا كانت هذه اللغاتُ مُندثرةً غامضةً في كثير من مفرداتها وتراكيبها فقد بات لزاماً عليهم أنْ يستعينوا على معرفة ألغازها وغوامضها بالاستئناس بالعربية، وهكذا أصبحت

العربية ـ لغة عدوهم الإسلامي ـ مُعيناً لهم في معرفة نصوص كتبهم المقدّسة، وقد كانت إلى ذلك الوقت لغة مُهمة علمياً ـ فقد كانت وعاءً لعلوم مختلفة كالطب والكيمياء.. وأهمُّ من ذلك بالنسبة للأوروبيين أنّها حَفِظت لهم الفلسفة اليونانية التي تُرْجمت إلى العربية، وفي هذا يقول «آربرى»: «كان من فخارها (أي: العربية) أنّها صارت الواسطة التي نُقِلَ بها أرسطو وجالينوس اللذان كانا قد آلا إلى النسيان»[١].

وقد خَبا الصوت العسكري الداعي إلى إبادة المسلمين بالقوة في عنفوان قوة المسلمين إبان الحُكم العثماني، فأقصىٰ ما يُمكن أنْ يَطمح فيه بلد أوروبي كالنمسا أن تفكّر في الدفاع عن عاصمتها «فينا» التي حاصرها الجيش العثماني مرتين سنة ١٥٢٩م وسنة ١٦٨٣م. وقد كان سبيل النمساويين في تعاملهم مع الأتراك أن يلتمسوا سُبل المواجهة الثقافية، وفي هذا المعنى تقول المستشرقة الألمانية «أنّي ماري شمل» Anne Marie Schimmel «ولذا وجب على النمساويين الاهتمامُ بعادات جيرانهم الأقوياء (تعني الأتراك) وبطرق حياتهم وكذلك بلغتهم، فحُفرت حروفٌ عربية في خشب لأجل

---

(١) «آربري» ص ١٢.

الطبع ـ لأول مرة ـ في سنة ١٥٥٤م في فينا»[١]. وقد أكد «ألبرت ديتريش» الظروف التي أمْلت على الأوروبيين ضرورة المواجهة الثقافية التي استلزمت معرفة اللغة بوصفها سلاحاً مهماً في هذا المجال، حيث قال: «وعندما تَوَغّل الأتراك حاملو لواء الإسلام وقتذاك، في قلب أوروبا، شعرت أوروبا بضرورة دراسة لغات العالم الإسلامي، لتلك الأسباب السياسية»[٢]، كيف لا وقد أحْكم المسلمون قبضتهم على البلقان وبلاد الصرب، وقد وصلوا في ١٤٦٠م إلى تخوم أوروبا الغربية.

وقد كانت النمسا بحكم موقعها المتقدم تجاه الشرق من أقدم الدول عناية بتطوير منشآتها العلميّة المتخصصة في دراسة الشرق، فقد أسست مدرسة لتخريج القناصل والسياسيين الذين يعرفون اللغات الشرقية،وكان ذلك في سنة ١٧٥٣م، وتلتها فرنسا بإنشاء مدرسة مشابهة سنة ١٧٩٥م.

وهكذا أخذت أوروبا تتهيّأ من خلال المؤسسات الرسميّة التي تُدرس فيها جميع سُبل «المواجهة» التي تحلّ بها «المشكلة الإسلاميّة».

---

(١) «شمل»، ص ٢٧.

(٢) «ديتريش» ص ٨.

اختــلال المعــادلـة بين الحضـارتين الإسـلامية والأوروبيَّة لصالح أوروبا

انحسار العربيّة وازدهار اللغات الأوروبية :

وفي الــوقت الـذي كان فيه الأوروبيون يستعـدون استعـداداً متنـامياً للمواجهة الثقافية مع المسلمين، ظلّ المسلمون يُمْعنون في الاعتزاز بقوتهم العسكرية دون أنْ يَستعدوا الاستعداد الكافي من الناحية الثقافية، لا لنشر دعوتهم، ولا لتوقّي الخطر الذي يحيق بهم. وقد حقّقت اللغات الأوروبية في العصر الحديث مكاسب كبيرة، إذ أخـذت تستوعب الحضارة العلمية المادية المتفجرة في أوروبـا وتنتشـر حيث امتـدت الكشـوفات الجغرافية[1]، والشــركـات الاستعمــارية في أمـريكـا وأفـريقيا وآسيا واستراليا، وأخذت الأسباب المختلفة تتسابق في خدمة

---

(١) «آربري»، ص ١٠.

هذه اللغات حتى خرجت عن أُطرها المحلية لتصبح حيّة عالمياً.

ومما ترتّب على هذا أن بَدأ يتقلَّص نفوذ اللغة العربية، بَعْدَ أن كانت كما قال عنها المستشرق الإنجليزي «وليام بدويل W. Bedwill» (١٥٦١-١٦٣٢م) «إنها لغة الدين الوحيدة، وأهَم لغة للسياسة والعلم من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصين»[١].

وهكذا تكون الأسباب قد توفرت لاختلال موازين الصراع لجانب أوروبا. فالشرق الإسلامي يتقلّص في قوته العسكريّة وتأثيره الثقافي، بل تتسارع لديه دواعي التقلص في حركة «مجنونة» تدفعه إلى الوراء، في وقت كانت تتسارع فيه الأسباب المهيئة لأوروبا في اتجاهاتها العسكريّة والتنصيريّة والعلمانيّة والإلحاديّة لتمكنها من «المواجهة» «المجنونة» لا من «التعقل والتفهم».

---

(١) «لويس» (تاريخ اهتمام الإنجليز) ص ٩.

اتجاهان متوازيان متعاونان في أوروبا
الاتجاه العسكري والاتجاه الثقافي التنصيري

ازدادت حاجة أوروبا في القرن السابع عشر إلى أن تَعْرف العربية معرفة أوثق، تتناسب ومصالحها في الشرق، فقد آن الأوان للاتجاهين السابقين أن يمارسا نشاطهما بطلاقة: الاتجاه الذي كان يدعو إلى استخدام القوة العسكرية في التعامل مع الشرق، وقد تمثل هذا في الاستعمار. والاتجاه الذي يدعو إلى المقاومة الثقافية ويتمثل هذا في التنصير، وقد واكب الاتجاهين رغباتٌ في تحقيق المكاسب التجارية التي تصارَع عليها في هذا القرن كلٌّ من البرتغال والروس ثم الإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الدول الأوروبية، وقد أصبح الاستشراق في هذا القرن مدعوماً بالمصالح السياسية الاستعمارية، بل إنّ «بعض رواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأدنىٰ، ليُعمّقوا معرفتهم بالعربية

والتركية»[1] وأضف إلى ذلك المنصرين ورجال الاقتصاد، يقول «آربري»: «فبينما التاجر يَسعى في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية إذ بالمبشر الإنجيلي يسبقـه تارة أو يَتْبعه حثيثاً تارة أخرى، وقد امتلأ حماسة شريفة لأنْ يُحَقِّق أمر معلمه المسيح.. وقد وجد أن مما يساعده على تحقيق ما يرمي إليه في الخلاص الروحي أن يتعلّم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير»[2].

وقـد عبّـر المستشـرق الهـولنـدي هادريان ريلانـد (١٦٧٦ـ١٧١٨م) عن توازي هذين الخطين: العسكري والتنصيري، في السير نحو هدف واحد، فقد كان متعقلاً حين دعا إلى أن تترك الفرصة لأن يُسمع الصوت الإسلامي من المسلمين أنفسهم «دعوا المسلمين يصفون لنا دينهم» كما دعا إلى بطلان الفكرة القائلة بتناقض الإسلام «هل من الممكن أن تجد ديانةٌ متناقضة ـ كما يصفها المؤلفون المسيحيون ـ ملايين الأتبـاع؟». ولكنه مع تعقله إلّا أنّه كان يؤمن بأنه «يتحتم على المرء أن يعرف الإسلام جيداً لكي يستطيع أن يحاربه بطريقة فعّالة»[3].

---

(١) «بلاشير»، ص ١٧.

(٢) «آربري»، ص ١٤. (٣) «بفانمللر» ص ١٣.

وهكذا يكون الاتجاه الثقافي قد سار في هدف موازٍ للاتجاه العسكري، وكلا الخطين المتوازيين يسيران نحو هدف واحد، هو «المواجهة»، وليس التفهّم والتعقل الحقيقي.

حاجة أوروبا للعربية في العصر الحديث لاقتحام الشرق عسكرياً وثقافياً

وهذا يَعْني أنْ تصالحت وجهات النظر الغربية - رغم ما بينها من خلاف - على اقتحام الشرق عسكرياً وثقافياً - بل أصبح من كانوا يختصمون عبر القرون الطوال الخوالي على أُسلوب التعامل مع المسلمين، يَعْضُد بعضهم بعضاً. وأمّا الخلاف بينهم فلا يتجاوز أن يكون خلافاً على المصالح الذاتية لكل قطر أوروبي وبخاصة بَعْد أن تقطَّعت عُرىٰ الوحدة الأوروبية القائمة على الدِّين، وحلَّت محلها الوحدة القائمة على أساس قوميٍ، سياسياً، دينيٍّ، عقيدةً. وهذا يعني أنّ التنافس بين دولة أوروبية وأخرى يمكن أن يُفَسّر سياسياً، ولكنّ من وراء هذا التنافس تعاوناً في مجال آخر، وهو الشعور الديني والحضاري الذي يُفَسر لنا مثلاً كيف انتشىٰ رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٧٩٩م طرباً لانتصار أَلَدِّ خصومه نابليون

بونابرت، فإنَّ نابليون استطاع أن يَغْزُو مصر وبلاد الشام، تلك المعاقلَ الإسلامية التي استعصت على أوروبا قروناً طويلة.

وقد ربط المؤرخ الإنجليزي «هربرت فيشر» إعجاب بريطانيا بما حَقَّقه نابليون في الشرق بأهداف الحروب الصليبية. قال «فيشر» بعد أن وَصَف العداء المستحكم بين فرنسا وبريطانيا بسبب انتصارات فرنسا في أوروبا: «ولقد أتاحت له (لنابليون) الحربُ التركيةُ فرصةً نادرة غيرَ مرتقبة كانت ذاتَ أثر في مجرى حياته، ذلك أنّه إذا عُدَّ غزو مصر عَمَلاً فروسياً أخّاذاً فإنّ السحر الذي صحب الحملة السورية كان أعْظَم وقعاً وأكثر خيالاً وروعة، فإن الفرنسيين في أرض الوطن - مهما كان مَبْلغ سخريتهم بالبابا واستهزائهم بالقساوسة كانوا يطالعون في نَشْوة وفَخار بلاغات القائد الفرنسي الشابّ الذي استولى على فلسطين واتّخذ مركزاً له دَيْرَ الناصرة وقرأ على ضباطه التوراة تحت سماء سوريا، في تلك المواطن التي قَدّسها المسيح وحواريوه.. ومجدتها في عيون الفرنسيين فِعالُ الحروب الصليبية الأولى ومغامراته، فإن استرجاع فلسطين من الأتراك - هذا الحادث الذي طَرب له حتى رئيس وزراء بريطانيا قُبيل نهاية الحرب العالميةَ الأولى اسْتُقبل استقبالاً

حافلاً من مواطني القديس لويس الخاضعين لنير حكومة الإدارة الصارم الخسيس»[1].

ولعلّ من أبرز ما يظهره هذا النص تلك الروح الواحدة التـي تخفق في شقي المـوقف الأوروبي في صورتـه العسكريّة وصورته التنصيريّة. وقد تلا ذلك وسبقه ظواهر تؤكد تحالف الخطين وسيرهما في اتجاه واحد، ومن ذلك أن نجد كثيراً من المستشرقين الذين جمعوا بين الشخصية السياسيّة العسكـريّة والثقـافيّة في آن واحد، ومن هؤلاء «كلوب باشا» في الأردن، ولورنس في الجزيرة، وماسينيون في سوريا.

توحّد الاتجاهين التنصيري والعلماني على هدف واحد

إنّ في النص السابق معاني كثيرة، منها: الإشارة إلى الخـلاف الحادِّ بين السلطة الحاكمة في فرنسا «حكومة الإدارة» في باريس ـ ورجال الدين في فرنسا وروما، ولكن هذا الصراع يَذوب أمام نَشوة الانتصار على المسلمين، ومنهـا الإشـارة إلى الروح النصرانية التي تَقْبع أحياناً في

(١) «هربرت فيشر»، ص ٥٥.

صدور أصحـاب الاتجـاه العلماني القومي رغـم ما يبدو عليهم أحياناًمن رغبة في تحييد الدين أو معاداته، وهذا يتمثل في سلوك نابليون الذي قرأ التوراة تعبيراً عن بهجته لأنَّـه «استرد» فلسطين، ومن المعلوم أن نابليون هذا هو الـذي كان يصطحب معه فريقاً ضَخْماً من المستشرقين الذين كان لهم الأثر الأكبر في إنجاح مقاصد الحملة[1].

وحتى أولئـك الذين تمرّدوا على الدين في أوروبا، ودعـوا إلى الإلحـاد، عقيدة، فإنهم في فترات استشعار الضعف أمام جِبِلّة التدين في الإنسان، يختارون العودة إلى الـدين بمفهـومه الكنسي، ويبقىٰ عداؤهم للإسلام ماثلاً أمامهم.

وعلى هذا فإن المستشـرقين العلمانيين والمنصرين تتداخل أهدافهم، وتلتقي خطوطهم حين يتوجهون نحو التعامل مع الحضارة الإسلاميّة، ولا يكادون يفترقون في المناهج والأساليب وهم يدرسون هذه الحضارة.

---

(١) انظر في هذا ما كتبه «رئيف خوري» في كتابه «الفكر العربي الحديث» حول الحملة الفرنسية وما أُعِدَّ لها ودَوْرها الخطير في الشرق.

مدارس الاستشراق المعاصرة استمرار للاتجاهات الأوروبيّة في العصور الوسطى

إنّ في وسع المرء أنْ يُفَسِّر كثيراً من خصائص المدارس الاستشراقية في العصر الحديث في ضوء وقوفه على مسيرة الخطَّين العريضين المتوازيين اللذين واكبا مسيرة الظاهرة الاستشراقية عبر تاريخها الطويل: الخط الذي يَدعو إلى الحرب العسكرية، والخط الذي يَدعو إلى المقاومة الثقافية، ونقاط الافتراق والالتقاء بينهما، فالجامع بين جوهري الخطين أنهما يتجهان نحو «المواجهة» والانتصار للروح النصرانية، ويتمثل هذا أكثر ما يتمثل في الاستشراق الألماني الذي سَعى منذ عصور سحيقة إلى التركيز على الجوانب العقدية والأصول النصيّة، دراسةً ونقداً، أكثر من سواها.

وأما الخط الأول فيمثله الاستشراق الإسباني والاستشراق الإيطالي أكثر من سواهما، وإن كان المَرْء لا

يَعْـدم وجودَ شواهد لكلّ نَوع من أنواع الاستشراق مبثوثةً فيما اختص به النوعُ الآخر. فليست الخطوط هنا خطوطاً هنـدسية بل هي خطوط تُمَثِّـل مسيرة تصـرفات بشرية، والاتجاهات البشرية يصعب أن تُحَدَّ حدوداً لا تترك مجالاً للتداخل.

وقـد عَبَّـر الاتجـاه العسكري عن روحه العنيفة في إسبانيا في القرن السادس عشر حيث أقدم هؤلاء على قتل المسلمين، وإحراق آلاف الكتب العربيّة.

ولعل ممارساتِ المدارس الاستشراقية السابقة وعلى سبيل المثال: الألمانية، والإسبانية، والإيطالية، تعكس لنـا بوضـوح ما بينهـا من فوارق تَبْـدو آثـارُهـا في نوع اهتماماتها، وفي طبيعة ممارساتها في البلاد الإسلامية. وأمَّا الاستشراق البريطاني، والفرنسي فقد تمثَّل فيهما أكْثر من غيرهما خصائص الخطّين العريضين، ولذا فإنَّك ترىٰ أن الاستعمار البريطاني ـ وهو في هذا أكثرُ من الفرنسي وضوحاً ـ يُعمل سيْفي المواجهة الثقافية والعسكرية معاً، وقد كانت الظاهرةُ الاستشراقية على أيّ حال تُمَثِّل الجذور الأيديولـوجية للاستعمـار الحـديث بكـل دوافعه النفسية كالسيطرة الاستعـلائية، والـرغبـة التنصيرية، والمصالح الاقتصادية. . وغيرها.

فالمدارس الاستشراقية قد تَفْتَرق افتراقاً توضِّح حدوده المصالحُ السياسية لكلّ بلد أوروبي، ولكنّ هذه الحدود تكـاد تُلْغى حين نجـدُ أنّ الـروح النصرانية تجمع القَدر الأكبر من المستشرقين الغربيين، وقد فسَّر لنا هذا من قبل كيف ابْتَهج البريطانيون بانتصارات خصمهم نابليون، وهو يُفَسر أيضاً هذا التكامُل بين المدارس الاستشراقية رغم ما بينها من اختلافات سياسية أو قومية أو سوى ذلك، وقد أشار إلى هذا المفهوم المستشرق الأمريكي «بيتر غران» حيث أكّد أن وراء التنسيق القُطْري أو الوطني الذي يُنظِّم أعمالَ المستشرقين أهدافاً تجعل الاستشراق عالمياً، بل تجعـل المستشرقين جَبْهة واحدة متلاحِمَة تلاحماً يفوق تواشُجَ من انصبّت جهودُهم في البلد الواحد على دراسة تاريخ ذلك البلد، قال: «بيتر غران»: «ويَظْهر لأول وَهْلَة أنّ مدارس البحث الاستشـراقي تَنْتَـظم وَفقـاً للقـطر أو المنـطقة التي يقع فيها القُطر وأنَّه تربط هذه المدارس - على نحـو سائب - العـديدُ من المجـالاتِ المغمـورة والمؤتمرات السنوية. وتُرِيْنا نظرة أدق، على كل حال، أنّه ليس ما يُوحّد أو يفرّق الأفراد أو المجموعات الصغيرة هو الخطوط الوطنية على وجه التخصيص. وبالمقارنة بباحثي العـديد من فروع التاريخ الأخرى فإن المستشرقين أكْثَرُ عالمية منهم. وفضـلاً عن ذلـك. . يعـرف الكثير من

الباحثين (يعني المستشرقين) بعضهم البعض عن طريق التـدريب اللغـوي أو عن طريق المـدرسين والـطلبـة المشتركين ـ وتستمر هذه العلاقات مدى العمر **وهي أكثر أهميّة من الروابط المشابهة التي تَنْشأ بين الأساتذة والطلبة الذين يتخصصون في تاريخ الولايات المتحدة وأوروبا»**[1].

وقد لا تكون الروح النصرانية وراءَ كل هذا التنسيق الذي يجمع المستشرقين، فقد تَعدَّدت مدارسُهم الفكرية وأوطانهم ومناهجهم وأساليبهم، بَيْدَ أنّهم في حاجة ـ مَهْما بلغ هذا التعـدُّد والتسابق ـ إلى التنسيق الذي يرمي إلى إرغـام الشـرق الإسـلامي على التغيّر فكـرياً، والتبعية الاقتصادية التي تَخْدم الغَرْب بالدرجة الأولى.

ولا يتنافى هذا التحليل في عمومه مع وجود حالات فرديّة تَبْدو غير واعيةٍ على هذه الأهداف والمرامي، أو قد تبدو ـ ولو أمامَ نفسها على الأقل ـ محايدةً مُتجرِّدة ولكنّها قد لا تَسْلَم ـ ولـو في بعض مصـادرهـا ـ من تأثير التيار الاستشراقي العام الذي يُحاول هو بدوره أن يُفيد حتى من هذه الفئة بُطرُقه الخاصة، فيحيلها في نهاية المطاف إلى وسائل مجدية في تحقيق غاياته.

---

(١) «بيتر غران»، ص ٦٤.

اللغـة العـربيّة وسيلة مهمة لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها جميع الاتجاهات الاستشراقية

وعـلى الـعمـوم بات الاستشـراق بجميع تياراتـه واتجاهاته الفكرية النفعية والحيادية في حاجة ماسّة إلى تَعَلُّم اللغـة، فالـذي اتّصـل منهم بالـدوائر الاستعمارية بشكل مباشر أو غير مباشر. احتاج إلى العربية ليتمكن بها من التفاهم مع أهل المنطقة ولقراءة عاداتها وتقاليدها، ورسم خططهـا، وإعـادة صياغتهـا في ضوء المصـالـح الاستعمارية، وكذلك من كانت لهم أغراض ثقافية دون أن تكون لدُولهم طموحاتٌ عسكرية بارزةٌ بروز الأهداف التنصيرية، فقد احتاجوا إلى معرفة العربية للوقوف على معـاني القـرآن، والحـديث النبـوي، والسيرة والتـاريخ الإسـلامي، ثم لمعـرفة واقع المجتمع الإسلامي نفسياً واجتماعياً، وأفضل السُّبل لإدخال الثقافة البديلة إليه.

ولـذا فقـد بات لزامـاً أنْ تُنْفَق الأمـوالُ الحكـومية

والكنسية في سبيل إجراء الدراسات العربية الصارمة الجادّة في جميع المجالات، وقد غَدت العربية سلاحاً أساسياً لجُل المتخصصين في الدراسات الإسلامية. هذه هي السِّمات العامّة للاستشراق التقليدي الجاد. وقد عرفتْ بعضُ الدول التي لا تُعَدّ عريقةً في مجال الاستشراق ـ كأمريكا ـ نَوْعاً من المراكز التي تَهْتَم بتجميع المعلومات وبخاصة ما يَتَعلَّق منها بتزويد وزارة الخارجيّة بتقارير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والحركات الفكرية في البلدان الإسلامية. ولذا كان المجال مفتوحاً أمام جيش من الموظفين الذين يُستعان بهم في سبيل توفير هذه المعلومات دون أن يكونوا على معرفة بالعربية أو بغيرها من اللغات الشرقية[1]، وقد انْتشرت هذه الظاهرة في روسيا وكثير من الدول الغربية، وهي شَكْل من مُسْتَلْزمات التطور الذي أسْفَر عنه تاريخ الظاهرة الاستشراقية وإن كان كثير من المستشرقين يُنْكرون أنْ يكونَ هذا التطوّر وليد الحركة الاستشراقية.

لقد أملىٰ هذا التطوّر تضخم الظاهرة الاستشراقيّة وليس انحلالها، فكان من مظاهر هذا التضخّم أن دخل في مستلزمات مؤسساته الخبراء ورجال الصحافة والمراسلون الإذاعيون وغيرهم.

---

(١) انظر «بيتر غران»، ص ٦٣ـ٧٠.

الواقع الجديد للاستشراق

يحسب بعض الباحثين أن الاستشراق قد تلاشىٰ أو كاد. وهم يبنون أحكامهم على المفارقة بين صورته القديمة والحديثة. وهم بهذا لا يجدون في واقعه المعاصر تلك الملامح القديمة التي أَلِفُوها. إنّ الاستشراق حركة تاريخ تتغير أساليبه ومناهجه ووسائله، ولكنه يظل في نهاية المطاف محاولات أوروبا في التعامل مع الحضارة الإسلاميّة، تلك المحاولات التي تتأثر بميزان القوة والضعف على صعيد الحضارتين، كما تتأثر بالمصالح المتفاوتة بين كل طرف من أطراف الصراع الأوروبي مع الحضارة الإسلامية. ولعل مما ساعد على إيجاد شكل من المفارقة الواضحة بين ماضي الاستشراق وحاضره أن الاستشراق أصبح يمتد الآن إلى آفاق أرحب مما كان عليه، وبشكل خاص بعد أن ضعف موقف الحضارة الإسلاميّة في مجال القوة، في الوقت الذي شملت فيه هذه الرحابة من جانب آخر اتساعاً في دائرة الاستشراق

المكانية وبخاصة شموله الاستشراق الأمريكي الذي يمثل طليعة الاستشراق في شكله الجديد. فهذا الاستشراق يتفق في جوهره مع الاستشراق الأوروبي ولكنه يختلف عنه في بعض الأمور، منها أن الاستشراق الأمريكي أبعد مكاناً من الاستشراق الأوروبي، ولذا فإن الأمريكي ينظر إلى هذه البلاد نظرة قائمة على تقدير النفع، أما الأوروبي فينظر إليها نظرة قائمة على النفع ودرء الضرر بحكم التجاور المكاني بين الحضارتين.

ثم إن أوروبا لها ماض قديم في الصراع مع الشرق يجعل من خبرتها أعمق من الخبرة الأمريكية في هذا الشأن.

وأحسب أنّ المستشرقين سيظلّون في حاجة إلى العربية ما دامت لهم أهداف ومصالحُ من أيّ نوع: تنصيرياً كان أو اقتصادياً.. أو سوى ذلك، وإنك لتلمس مظاهر هذه الحاجة في المشاريع اللغوية (كتأليف المعاجم العربية الأوروبية وبخاصة ما يخدم مجال الإعلان والتجارة) التي تَدْعمها الشركات الأوروبية وتقوم بها المعاهد اللغوية التي تُموّلها الحكومات.. وفي الكُتب والنشرات والمجلات التنصيرية التي تغذّيها الكنائس الأوروبية.

لقد تقلّب الاستشراق مع تقلبات النظرة الأوروبيّة إلى الحضارة الإسلاميّة، فقد كان استشراقاً دفاعياً ثم أصبح استشراقاً هجومياً. وكان استشراقاً عسكرياً استعمارياً يسعى إلى تحقيق الأهداف السياسيّة والاقتصاديّة، وكان كذلك تنصيرياً يسعى إلى «حماية» المجتمعات الأوربيّة من أي تأثير إسلامي، ثم أصبح يسعى إلى توصيل ما لديه من ثقافة إلى سواه. وفي المرحلة التي كانت فيها أوروبا دينيّة الطابع سعى الاستشراق إلى نشر الفكر الكنسي، ولمّا سادت أوروبا الأفكار المتعددة واكب الاستشراق ذلك، وحاول أن ينهض برسالته في صياغة هذه الشعوب على نمطه مستعيناً على ذلك بمحاولة فهمها، والتوسل لذلك بمعرفة لغاتها وعاداتها وأنماط سلوكها.

فالاستشراق، إذن، لم يتوقف، بل ما يزال يتابع مسيرته، وإن تغيرت الوسائل، وتباينت الأشكال. بل إن في وسع المرء أن يقول: إن الاستشراق قد اتّسع فخرج عن إطار الجهد الفردي أو حتى عن إطار الجهد المؤسسي المحدود إلى إطار المشروع الواسع الشامل الذي يستهدف إعادة تشكيل الشرق الإسلامي ليصبح «شرقاً غربياً».

السمات المشتركة للاستشراق

الاستشراق حركة شاملة في أوروبا، لا تنحصر في قطر دون آخر، وعلى اختلاف أهداف الأوروبيين فإنهم ـ كما مرّ ـ يتكاملون بل يشكلون مدرسة واحدة، وإن تعدّدت الاتجاهات والأهداف أحياناً. ولعل من أبرز السمات التي توضّح الصورة العامة لهذه الظاهرة أموراً نذكر منها:

١ ـ وحدة الأهداف:

فالكلّ يرمي إلى «مواجهة» الشرق، والتعرف على السُّبل المناسبة لذلك وإعادة صياغته على النمط الأوروبي. وفضلاً على ذلك كلّه تحقيق المكاسب الاقتصاديّة منه، والمواقع العسكريّة فيه. ولذا فإن مساعيهم إلى الوقوف على تاريخه وواقعه إنما هو بغرض فهمه من جهة وبغرض التعرف على نواحي الضعف والقوة فيه.

ولـذا لم يكن غريبـاً أن يهتم المستشـرقون بالتركيز على دراسة الفئات المتطرفة في تاريخ الحضارة الإسلاميّة كالشعـوبيين، وبعض الحـركـات المـذهبيّة، والأقليات العـرقيّة، وإبـراز الشخصيات التي تميزت بالتـطرف في الحكم أو التفكير، وإبراز أنماط معينة من النصوص الأدبيّة والفكـريّة، والعنـاية بهـا دراسة وتحقيقاً ونشراً. كما هي الحال في موقفهم من «ألف ليلة وليلة» ونصوص المتصوّفة المتطرفين، وإخوان الصفا وغيرها.

وقـد تكـون دراسـاتهم لغرض علميّ كالإفـادة مـن الجوانب المشرقة في تاريخ الشرق، كالوقوف على تاريخ العلوم التي ازدهرت في رحاب الحضارة الإسلاميّة ومـن أقـدم المـدارس التي عرفت بذلـك في أوروبـا مدرسـة «مونبليه» التي أسست سنة ١٢٢٠ وعلَّمت العربيّة بوصفها لغـة مهمـة في مجـال الطـب، أو الوقوف على حلقات غامضـة من تاريخ الحضـارة الأوروبيّة ولكنها تتضح من خلال معـرفتهم بتـاريخ الحضـارة الإسلاميّة، ومن ذلك محـاولتهم الـوقوف على تاريخ اليونان والرومان بالتعرف عليها من خلال المصادر الإسلاميّة، المكتوبة أو الماثلة في صورة آثار قديمة.

ويحقق لهم معـرفتهم باللغـة العـربيّة القـدرة على

حلّ كثير من المشكــلات التي تواجههم في دراســاتهم اللاهوتيّة التي كتبت نصوصها القديمة بلغات ساميّة ميتة، ولذا كان تعلمهم للعربيّة، بوصفها لغة سامية حيّة، مفيداً في حل المشكلات التي تواجههم.

٢ـ وحــدة المناهــج:

كثيراً ما تجد المستشرقين يعتمدون مناهج معينة في تحليل الحضـارة الإسلاميّة. ومن هذه المناهج أن ينظر إلى الإســلام على أنــه تطوير لعبــادة وثنيّة كمـا فعـل «بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلاميّة»[١]، وقد ينظر إلى الإسلام على أنَّه ظاهرة تفسّر في ضوء المتغيرات الاقتصاديّة كما فعل مونتغمري واط في كتابه «محمد في مكة»، و «محمد في المدينة» وهما مذهبان معروفان في الــدراســات الاستشــراقيّة، يقـوم الأول على المنهـج التاريخي الذي ينظر إلى الظاهرة بمحاولة التتبع التاريخي لنشأتها وتطوّرها عبر مراحل التاريخ، ويقوم المنهج الآخر على النظرة الجدليّة التاريخيّة التي تركز في تحليل أحداث التاريخ على العوامل الاقتصاديّة.

وثمَّة منهج آخر يقوم على أساس النظرة الاجتماعيّة،

---

(١) انظر «بروكلمان» ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٤ وغيرها.

التي تنظر إلى الحضارة الإسلامية على أنها، كما يقول «سوذرن»، وليد «فئات بشريّة مدينيّة متحررة مقبلة، على العمل والحياة، ومستندة إلى سواسيةٍ مبدئيةٍ اجتماعياً تستمتع بالنقاش والجدل في المسائل كلها دونما كهانٍ أو أديرة في البنية الأساسيّة للاجتماع، وطبيعيٌ ما دام هذا الاختلاف في البنية الاجتماعيّة واضحاً أن يختلف التطوّر الاجتماعي في المنظومتين (يعني الحضارة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة) فقد سكنت أوروبا لحقب طويلة لتنهض في نهايات العصور الوسطى من غفْوتها وتستمرّ في الصعود البطيء دونما توقف، بينما نهض الإسلامُ منذ ظهوره اجتماعياً ليبلغ الذروة في حقبة قصيرة، ثمّ ليبدأ بالهبوط البطيء دونما بلوغ لذروته الذهبيّة المبكرة مرّة أخرى»[1].

وقد يَعُدُّون الإسلام ظاهرة نفسيّة عبّرت عن عظمة طموح فردي، على نحو ما يبدو ذلك واضحاً من تصوير «فولتير» للرسول ﷺ، ومن قبل «فولتير» كان موقف «دانتي» في كتابه «الكوميديا الإلهيّة».

وقد يُقْدم المستشرق الواحد في تفسير الحضارة الإسلامية على مناهج متعددة، ولكنهم يلتقون في الغالب

---

(١) «سوذرن» ص ٤٢-٤٣.

الأعـم على هدف واحــد، هو الــوصــول إلى ما يؤيد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشريّ من صنع عبقريّة فرديّة أو ظروف اجتماعيّة أو اقتصاديّة . .

٣ـ وحدة الوسائـل :

ولعل من أبرز مظاهر هذه الوحدة الدوريات المشتركة والمشــاريع المشتـركـة كدائـرة المعارف الإسلاميّة التي اشتــرك في وضـع مادتهـا عدد كبير من المستشـرقين، وكفهرسة الحديث النبوي، وبعض المعاجم اللغويّة. ومن هذه الـوسـائـل أيضـاً المؤتمرات الدوريّة التي تستقطب المستشرقين من كل مكان، ويضعون فيها خطط العمل المشتـركـة على فتـرات زمـانية محدودة، وهي مؤتمرات متنقلة، تعقد هنا وهناك في أوروبا وغيرها .

وتُعَدّ المكتبات الأوروبيّة التي تحتفي بجمع الوثائق والمخـطوطـات والمـطبـوعات المتعلقة بالشرق من أبرز مظاهر التعاون في تحقيق الوسائل المشتركة بينهم، ولعل من أهم مراكز العناية بالكتب الإسلامية تجميعاً وفهرسة مكتبـة الكـونجـرس الأمـريكيّة، ولينينغـراد، وبـاريس، والأسكريال، وبرلين وغيرها .

ومما تتميز به أعمال المستشرقين ووسائلهم وأهدافهم

أنهـا كثيراً ما تكـون متكـاملة، يعرف فيها أحدهم، في الغالب، ما عَمِله من قبله فيأتي دوره هو ليضيف شيئاً ما على ما سبق إنجازه، ولا شك في أن التنسيق فيما بينهم يساعدهم على سرعة الإنجاز، رغم ما بينهم من حدود ومسافات.

موقفنا من الظاهرة الاستشراقيّة:

الاستشـراق ظاهـرة منـظمة، تمثّل جهداً دءوباً من الغرب في محاولته فهم الحضارة الإسلاميّة في الشرق، وقد رأينا أن هذه المحاولة أخذت أبعاداً يمكن تلخيصها بالبعـد العسكـري، والبعـد الثقافي. وأما البعد الثقافي فيتمثـل في الاتجاه التنصيري، والاتجاه العلماني الذي أخـذ بدوره بُعْدين: البعد العلماني الذي عبّر عن نفسه بمحـاولـة تحييد الـدين عن الحياة في النمط الأوروبي وحاول من جانب الشرق أن يُعيد تشكيل حياة الشرقيين على النمط الأوروبي، والبُعْد الإلحادي الذي تجاوز في مطلبه تحييد الدين إلى حربه ومعاداته، وقد حاول أن يعيد تشكيل الشرق تشكيلاً لا أثر للدين فيه.

وقـد كان لكـلّ اتجاه من هذه الاتجاهات منهاجه، وبرنامجه، وخططه، ومؤسساته، ومصادر تمويله، وقد عبّر

المستشرق الألماني «رودي باريت» عن هذا المعنى حيث قال: «ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربيّة التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن»[1] وقال «باريت» في موضع آخر «ونحن (يعني المستشرقين) جميعاً المتمتعين بهذه النظم نعترف بأن المجتمع ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابيّة يضع تحت تصرفنا الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق»[2].

وقد استطاع الاستشراق أن يُنجز على مدى قرون طويلة مشاريع كبيرة، من الدراسات والبحوث التي تحاول أن تدرس الشرق الإسلامي في جوانبه المتعددة فكرياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وغير ذلك.

ولا شكّ أن دراساته اختلفت نتائجها باختلاف الاتجاهات، وتلوّنت بتكوّن الأهواء، والانطباعات السابقة لكل مستشرق.

ولكنَّها مع ذلك لا تخلو من كثير من الدراسات الجادة

---

(١) «باريت» ص ١٠.
(٢) «باريت» ص ١٢.

والحقائق الجزئية أو الكليّة الصحيحة. وقد تعمقت بعض هذه الدراسات المجتمع الإسلامي تعمقاً بلفت النظر، واستحضرت لذلك البيانات الهائلة والمعلومات المهمة الكثيرة، وناقشتها مناقشة لا تخلو من فائدة جمّة. وكان من ثمار ذلك الفهارس، وتحقيق النصوص، والعناية بها، ومناقشتها، والدراسات الإحصائية والاجتماعيّة الميدانيّة، والمقارنات البيانية، فضلاً عن الدراسات اللغويّة التي كثيراً ما وصلت بالبحث العلمي إلى نتائج لم يتوصل إليها أبناء هذه اللغات.

فالدراسات الاستشراقيّة مكتبة ثريّة عريقة في مجال البحث العلمي، لا يحسن بنا أن نتجاهلها. وقد أعطت هذه المدرسة أصحابها الفرصة لدراسة الشرق بغرض تحجيمه، ثمَّ بغرض إعادة تشكيلة وإعادة تفصيله على النحو الذي يحقق ما يُريدون.

ومع ذلك كلّه فإن هذه المدرسة التي كثرت مؤسساتها في الغرب وأوشكت «أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي يشغله أستاذ..»[1] لم تُحظ من جانبنا بَعْدُ بدراسات جادة.

---

(١) «باريت» ص ١٢.

ورغم أن الاستشراق ظاهرة متحركة متطورة، وحركة منظمة أصبح يتخرج في مؤسّساتها الباحثون من الشرق نفسه بما يزيد بكثير عن عدد الدارسين الغربيين أنفسهم للشرق، إلّا أننا لم نلتفت إلى هذه الظاهرة بدراسات منظمة، وكثيراً ما كانت الجهود المبذولة في هذا الجانب لا تتجاوز النشاط الفردي الذي قد يتناول الظاهرة بروح الرافض المتحمس لكل ما يمت إلى الاستشراق بصلة، أو المتبنّي المتحمس الذي يرى في فلسفة الاستشراق عقيدة يدين بها، ومنهجاً لا يحيد عنه، وهؤلاء هم الذين عبر عنهم «برنارد لويس» باسم «حواريين من الشرق الأوسط للعلماء الأوروبيين»[1].

فرغم أن الاستشراق له جامعاته التي تدرس الشرق الإسلامي، إلا أن الشرق الإسلامي ليس له جامعاته التي تدرس الغرب بفلسفة موازية للفلسفة الاستشراقيّة ولا بفلسفة إيجابيّة ترمي إلى مخاطبة الغرب بخطاب يتناسب مع وجاهة الرسالة الإسلاميّة، بل إن الشرق يكاد يكون معطّلاً عن دراسة «الكم» الذي خلّفته الظاهرة الاستشراقيّة على صعيد ما كُتب أو ما نُفِّذ على الشرق عملياً وانعكس

---

(١) «لويس» في كتابه «الغرب والشرق الأوسط» ص ١٤.

على حياته الثقافية وبرامجه التعليميّة وأنماط حياته بعامة.

إنّ الشرق يعيش من هذا الجانب ـ كما يعيش في سائر جوانب حياته الأخرى ـ معطلاً، وكأنما أُريد له ذلك، فلو قامت معاهد ومؤسسات لدراسة الاستشراق والغرب بعامة لكان في ذلك ما قد يسفر عن نوع من التمرّد على واقع ما ترمي إليه سياسة الاتجاهات الغربيّة الاستشراقيّة من أهداف تسعى إلى تحقيقها في الشرق، وترويض الشرق عليها. وإلّا فكيف نفسر هذا الصمت العجيب إزاء ظاهرة مهمة، فلم تتح بعد لمؤسساتنا الفرصة التي تمكن من دراستها دراسة شموليّة، موضوعيّة من خلال حوار هادىء بناء يقف بنا على سلبياتها وإيجابياتها.

لا شك في أن تقويم الظاهرة الاستشراقيّة تقويماً منصفاً دقيقاً يُعَدّ خطوة مهمة في سبيل تحقيق أواصر التفاهم بين الشرق والغرب، ذلك التفاهم الذي ما يزال يفتقد الأجواء المناسبة لتحقيقه.

دعوة هامــة

إلــىٰ

الجامعات والمؤسسات العلمية

أحسب أن هذه فرصة مهمة ينبغي تستثمر وأن يرفع الصـــوت فيهـــا، داعين إلى تأسيس أقســـام علميّة في جامعـاتنا[1]، ومراكز بحث متفرغة عندنا لدراسة الظاهرة الاستشراقيّة في شتّىٰ مؤسساتها ومراكزها وألوان نشاطها، ولغـاتهـا، ودوريّاتهـا، ومؤتمـراتها الدوريّة، ومناهجها، فتُدْرس هذه الظاهرة في تاريخها: نشأةً وماضياً وحاضراً، دراسة منهجيّة قائمة على التمحيص والتوثيق، بعيدة عن

(١) أودّ أن أنوه هنا بجهد مشكور لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة على سبقها في تأسيس قسم خاص بالاستشراق في المدينة المنورة، وهو القسم الذي أكرمني الله بالمشاركة في تأسيسه ورئاسته، والإسهام في وضع خططه ومناهجه، وقد، استجابت الجامعة مشكورة إلى مطالب القسم بتأسيس مركز للدراسات الاستشراقية إلى جانب القسم المذكور.

التعصب والهوى، مستمدة روح منهجها من قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله﴾ ومن قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

المراجـــع

١- آربري :

أ.ج. آربـري، المستشـرقـون البـريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن ١٩٤٦م.

٢- باريت :

رودي باريت، الـدراسـات العـربيّة والإسـلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة (بدون تاريخ).

٣- بروكلمان :

كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، نقله إلى العربيّة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، ط. الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م.

٤- بلاشير :

ريجي بلاشير، القرآن، ترجمة رضا سعادة، بيروت ١٩٧٤م.

٥- بفانمللر :

جوزستـاف بفـانمللر، سيرة الـرسـول في تصـورات الغـربيين، ترجمـة محمـود حمدي زقزوق، البحرين ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦- بيتر غران :

بيتر غران، الاستشراق المعاصر في الولايات المتحدة، مقالة منشورة في عدد الاستشراق (٢) من سلسلة الثقافة المقارنة، بغداد ١٩٨٧م (ص ٦٣-٧٠).

٧- دانيـل :

Norman Daniel, Islam and the westm .Edinburgh - England 1980

٨- ديتريش :

ألْبرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا: تطورها التـاريخي ووضعهـا الحـالي، فرانز شتاينز، فيسبادن ١٩٦٢م - ١٣٨٢هـ.

٩- رئيف خوري :

رئـيف خوري. الـفـكـر الـعـربـي الحـديث، دار المكشوف، بيروت ١٩٤٣م.

١٠- رينو:

جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون: الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب إسماعيل العربي، الجزائر ١٩٨٤م.

١١- سوذرن:

ريتشارد سوذرن، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٤م.

١٢- شمل:

الترجمة التي قامت بها «أنّي ماري شمل» لحياة «يوسف فون هامر» وهي منشورة في كتاب: «المستشرقون الألمان»، جمع صلاح الدين المُنَجِّد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٢م (ص ٢٧-٣٨).

١٣- فرويند:

Michael Freund, Deutsche Geschichie von den Anfangen bis zur Gegenwart, München 1979.

١٤- فوك:

Johann Fück, Die Arabischen Studien in Europa Von 12.

bis in den Anfang des 19. Jahrhunderts in: Beiträge zur Arabistik Semitistik und Islamwissenschaft. Leipzig 1944

١٥- فيشر:
«هــربرت فيشر»، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠م) تعــريب أحــمــد نجيب هاشم، ووديع الضّبع، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.

١٦- لويس (تاريخ اهتمام الإنجليز):
برنارد لويس، تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية، ست مقالات نشرت في «المستمع العربي» الطبعة الثانية.

١٧- لويس (الغرب والشرق الأوسط):
برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، تعريب نبيل صبحي (لم يذكر الناشر ولا تاريخ النشر).

المؤلـف وبعض أعماله العلميّة

- د. إسماعيل أحمد عمايرة.
- تخرج في الجامعة الأردنية ـ قسم اللغة العربية.
- حصل على الماجستير من جامعة عين شمس.
- حصل على الدكتوراه من ألمانيا الغربية.
- رئيس سابق لقسم الاستشراق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ المدينة المنورة.
- أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية/ الجامعة الأردنية عمان/حالياً.

من أعماله العلميّة

أولاً: التحقيق:

١ـ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات (في النحو والصرف)، لأبي عليّ الفارسي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس ١٩٧٨.

٢ـ المسائل العسكريات (في اللغة والنحو)، لأبي علي

الفارسي، تقديم وتحقيق، منشورات الجامعة الأردنيّة، عمّان ١٩٨١.

ثانياً: التأليف:

أ ـ بحوث في مجلات علميّة مُحَكَّمة:

٣ـ «أقسام الأخبار، لأبي عليّ الفارسي ـ نظرة في مادّته وتحقيق نسبته» مجلّة دراسات، مجلّة علميّة تصدر عن الجامعة الأردنيّة، قسم العلوم الإنسانيّة، المجلد السادس، العدد (١) ١٩٧٩.

٤ـ نظرة مقارنة على المدرسة النحويّة العربيّة من خلال باب الشرط، مجلّة دراسات، قسم العلوم الإنسانية، والتّراث، المجلد الحادي عشر، العدد الرابع، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٥ـ ظاهرة «بجد كفت» بين العربيّة واللغات الساميّة ـ دراسة مقارنة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردني، العدد (٣١) ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦ـ ظاهرة تكرار المعاني في المعجم العربي، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردني العدد (٤٣) ١٩٩٢.

٧ـ نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني في ضوء اللغات

السامّية، مجلّة دراسات - قسم العلوم الإنسانية ١٩٩٠.

ب - كتـــب :

٨- جهـود النحـاة العـرب بين النـظريّة والتطبيق، رسالة دكتوراه (بالألمانيّة) جامعة إيرلنجن - نورنبرغ - ألمانيا الغربيّة ١٩٨٣م.

٩- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م (بالاشتراك).

١٠- معجم المصطلحات اللغويّة في كتابات المستشرقين الألمان. ألماني - عربي، عربي - ألماني، دار حنين للنشر، عمان - الأردن ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ويصـدر المؤلف سلسلة دراسـات لغويّة عن دار حنين للنشـــر، عمـــان - الأردن وقـد صدر من هذه السلسلة الكتب الآتية:

١١- خصائص العربيّة في الأسماء والأفعال - دراسة مقارنة في ضوء اللغات الساميّة. الطبعة الثانية، العدد (١).

١٢- معالم دارسة في الصرف: الأقيسة الفعليّة المهجورة - دراسة لغويّة تأصيليّة، الطبعة الثانية، العدد (٢).

١٣ـ المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغويّة العربيّة، الطبعة الثانية، العدد (٣).

١٤ـ المستشرقون ومناهجهم اللغويّة ـ المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي، والمنهج الإحصائي. الطبعة الثانية، العدد (٤).

١٥ـ العدد، دراسة لغويّة مقارنة، الطبعة الثانية، العدد (٥).

١٦ـ ظاهرة التأنيث بين العربيّة و اللغات الساميّة، الطبعة الثانية، العدد (٦).

١٧ـ المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربيّة ـ بحث في الجذور التاريخيّة للظاهرة الاستشراقيّة، الطبعة الأولى، العدد (٧).

ثالثاً: الترجمـــة:

أ ـ من الألمانية إلى العربيّة:

١٨ـ الجُمل العربيّة المصدّرة بـ «أنْ» و «أنّ» للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردني، العدد (٢٧) ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٩ـ المراحل الزمنيّة للعربيّة الفصحى للمستشرق فولف

ديتـريش فيشر، المجلة الثقافية ـ الجامعة الأردنيّة، العدد (١٢، ١٣)، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٢٠ـ الأفعـال الشـائعة في العربيّة المعاصرة للمستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، الرياض ١٤٠٥هـ.

ب ـ من العربية إلى الألمانية:

٢١ـ المئة المنتقاة من حديث رسول الله ﷺ، دار حنين للنشر ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

من مقدمة هذا الكتاب

. . كما ترمي هذه الدراسة إلى الإشارة إلى الجذور التاريخيّة للأبحاث الاستعماريّة والنصرانيّة والعلمانية من خلال علاقتها بالشرق الإسلامي.

ومن أظهر الأهداف التي تسعى إليها أن تعطي فكرة كافية عن تاريخ الصلة بين المستشرقين والعربيّة منذ أقدم العصور، وأن توضح الجذور التاريخيّة والثقافية لهذه الظاهرة حتى يتسنّى لنا أن نفهم واقعها ومستقبلها. ومن مرامي هذه الدراسة أيضاً أن تبيّن كيف أن بحث هذه الظاهرة ينبغي أن يتمّ في سياق الإطار التاريخي لعلاقة الإسلام بأوروبا منذ كان هذا الاتصال إلى يومنا هذا. . كل ذلك في سياق التوصل إلى أسباب سوء التفاهم، سعياً وراء صيغة أفضل للكشف عن الحقيقة التي تمثل الهدف المنشود الذي تسعى إليه البشريّة شرقاً وغرباً وفي كلّ اتجاه.

This Study

This study is based on the historic roots of orientalisam phinomenon with special emphasis on orientalists' relation to Arabic language throughout historic phases of orintalism.

This study reveals the negative consquences of their egnorance of Arabic on the relationship between East and West